دينار نادر للمعز بن باديس ضرب مدينة المهدية سنة ٤٤٩هـ

أحمد توني رستم توني

ملخّص: يتضمن هذا البحث دراسة دينار غير منشور، يعود إلى فترة حكم المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٤هـ/ ١٠١٦-١٠٦٢م)، حاكم دولة بني زيرى بتونس، وقد عرض هذا الدينار في مزاد فرانكفورت بألمانيا، (بيوس ناشف: النقود الإسلامية، الجزء ٦٢، السبت ٩ أكتوبر ١٩٨٢م، رقم ٥٩)، ويُنشر هذا الدينار في هذا البحث لأول مرة، ويُعد النموذج الوحيد المعروف، حتى الآن، من إصدار مدينة المهدية في سنة ٤٤٩هـ على الطراز السنى.

Abstract. *This paper studies an unpublished Dinar attributed to the reign of Al-Mu'izz b. Badis (406-454 A.H. / 1016-1062 A.D.), the ruler of Beni Ziri in Tunisia. First shown in Frankfurt Auction in Germany (Peus Nachf: Islamic Coins, Auction 62, Saturday, October 9th 1982, No. 59), this Dinar is published for the first time in this research. This unique issue is the only one of Sunni type known to us till now from Al-Mahdiayyah Mint in the year 449 A.H..*

المعز بن باديس

بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، ترك الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) حكم المغرب وإفريقية إلى بني زيرى الصنهاجيين الخاضعين لهم، وقد سعى الفاطميون إلى إضعاف بني زيري، حتى يظلوا على الولاء والطاعة لهم (مؤنس ١٩٩٧: ١٦٢-١٦٥).

وقد ظل حكام بني زيري على الولاء للفاطميين حتى تولى أبو تميم المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، الذي بويع بالمحمدية - من أعمال إفريقية - بعد وفاة أبيه باديس بن المنصور في سنة ٤٠٦هـ/١٠١٦م، وكان يبلغ من العمر ثماني سنوات وستة أشهر (ابن خلكان ١٩٦٨: ٥/٢٣٣-٢٣٤؛ ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٦٧؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/١٨٨)، وقد أرسل له الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) الخلع والتقليد ولقبه بشرف الدولة (ابن خلكان ١٩٦٨: ٥/٢٣٣؛ ابن أبي دينار ١٨٦٩: ٨١؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/١٨٩).

كان المعز بن باديس قد تتلمذ على يد أحد فقهاء المذهب المالكي، ويدعى أبو الحسن ابن أبي الرجال، ولذلك نشأ على محبة أهل السنة والجماعة، وكراهية الشيعة (ابن خلكان ١٩٦٨: ٥/٢٣٣-٢٣٤؛ ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٣٧؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/١٨٨). وكان المعز أول من حمل أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس، وكانوا قبله على مذهب أبي حنيفة (ابن خلكان ١٩٦٨: ٥/٢٣٤؛ ابن أبي دينار ١٨٦٩: ٨١؛ ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٧٣؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/١٨٩).

ولكن ظل المعز بن باديس على الولاء والطاعة للخلافة الفاطمية بمصر حتى قطع في سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٩م الخطبة للفاطميين، ودعا ببلاد إفريقية للخليفة العباسي أبو جعفر القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥م). وعلى أثر ذلك بعث المعز بن باديس إلى الخليفة العباسي يطلب منه عهداً بتوليته على إفريقية والمغرب، فأرسل إليه الخليفة كتاب التقليد والخلع ببلاد إفريقية؛ فقرئ الكتاب في الجامع الأعظم بالقيروان، ونشرت الأعلام السوداء رمز العباسيين عوضاً عن الأعلام البيضاء رمز الفاطميين، كما أمر المعز بن باديس بإحراق أعلام الفاطميين بعد تمزيقها، كذلك قطع أسمائهم من الرايات والبنود والطرز والسكة (النويري ١٩٨٣: ٢٤/٢٠٩؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/٢٦٥؛ إدريس ١٩٩٢: ٢٣٣-٢٣٤). ومن ثم

العدد الخامس عشر محرم ١٤٢٨هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٧م
(ص ص ٣٥ - ٤٤) ردمد ١٣١٩-٨٩٤٧

انفصلت دولة بني زيري وبلاد إفريقية والمغرب عن الخلافة الفاطمية (مؤنس ١٩٩٧: ١٦٥-١٦٦).

وقد حدث خلاف بين المؤرخين حول السنة التي أعلن فيها المعز بن باديس قطع الخطبة للفاطميين، وعدم ذكر أسمائهم من الطرز والرايات والسكة، وقيامه بالدعوة للخليفة العباسي القائم بأمر الله؛ فمن المؤرخين من ذكر أن تاريخ قطع الخطبة كان سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م (ابن أبي دينار ١٨٦٩: ٨٢؛ المقريزي ١٩٧١: ٢/١٩٠؛ النويري ١٩٨٣: ٢٤/٢٠٩؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/٢٦٥؛ سيد ٢٠٠٠: ١٩٠)، ومنهم من ذكر أن ذلك كان سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م (ابن خلكان ١٩٦٨: ٥/٢٣٤؛ ابن عذارى ١٩٨٣: ١/ ٢٧٤، ٢٧٧؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/٢٩٥؛ ابن خلدون ١٩٩٢: ٦/١٨٨؛ إدريس ١٩٩٢: ٢٣٥)، ومنهم من ذكر ذلك الحدث في سنة ٤٤١هـ ١٠٤٩م (الباجي ١٨٦٦: ٤٦-٤٧؛ قازان ١٩٨٣: ١٠٦)، وذكر آخرون ذلك في سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م (المقريزي ١٩٧١: ٢/٢١٤؛ ابن ميسر: ١٩٨١: ١١)، بينما ذكر الأندلسي أن ذلك كان في سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م (الأندلسي ١٨٧٠: ٢٣٩).

أما بخصوص النقود، ففي شهر شعبان سنة ٤٤١هـ/ ديسمبر ١٠٤٩م[١] أمر المعز بن باديس بتبديل السكة، وضرب نقوداً جديدة على الطراز السني، نقش عليها عبارات مناهضة للشيعة؛ تحمل على الوجه شهادة التوحيد والرسالة المحمدية دون عبارة "علي ولي الله"، ونقش على الظهر الآية الكريمة "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه" (آل عمران: ٨٥)، وضرب منها دنانير كثيرة، وأمر كذلك بسبك ما كان عنده من الدنانير التي تحمل أسماء بني عبيد (أي أسماء الخلفاء الفاطميين)، فسبكت وكانت أموالاً عظيمة، ثم بث في الناس قطع سكتهم وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم وسائر عمله، (ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٧٨؛ ابن الخطيب ١٩٦٤: ٧٣-٧٤)، وكان مبتدأ ضرب السكك بأسماء بني عبيد ورسمها في الرايات والطراز سنة ٢٩٦هـ، إلى أن قطعها سنة ٤٤١هـ، وذلك بعد مائة وخمس وأربعون سنة (ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٧٩).

وفي شهر شوال من هذه السنة (٤٤١هـ/ فبراير ١٠٥٠م)، نادى منادٍ بأمر المعز بن باديس، أنه من تصرّف بمال عليه أسماء بني عبيد نالته العقوبة الشديدة، فضاق الحال بالفقراء والضعفاء وغلت الأسعار بالقيروان، وكان الدينار القديم بأربعة دنانير ودرهمين، وكان صرف الدينار الجديد بخمسة وثلاثين درهماً (ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٧٩).

ومن خلال دراسة هذه الروايات، التي ذكرها المؤرخون حول السنة التي أعلن فيها المعز بن باديس الخروج على الفاطميين، وأيضاً في ضوء ما وصلنا من نقود المعز المعروفة، حتى الآن، يتضح لنا أن خروجه على الفاطميين يرجع إلى سنة ٤٤١هـ.

وعلى الرغم من قيام المعز بن باديس بالدعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله في الخطبة، إلا أنه لم ينقش اسمه على نقوده، وربما يرجع ذلك إلى ضعف الخليفة ووقوعه في هذه الفترة تحت سيطرة البويهيين؛ أي أن الخليفة لم يكن له من الخلافة سوى السلطة الروحية على حكام المشرق، أما المعز بن باديس فلا يحتاج إلى هذه السلطة الروحية، ولكنه ربما أرسل إليه بالدعاء له في خطبة الجمعة من باب حب المعز لأهل السنة، كما أن المعز ليس في حاجة إلى نقش اسم الخليفة على نقوده، ولذلك اكتفى بالرمز إلى تحوله من المذهب الشيعي إلى المذهب السني.

وعندما علم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ما فعله المعز بن باديس من قطعه الخطبة للفاطميين، وقيامه بالدعوة للخليفة العباسي القائم بأمر الله، أرسل إليه يهدده، فأغلظ ابن باديس في الجواب، فاتفق الخليفة المستنصر ووزيره أبي محمد الحسن بن علي اليازوري، على اقطاع قبائل بني هلال وبني سليم ورياح وزغبة بلاد إفريقية والمغرب، ورغَّبهم في الزحف، وجهزهم بالأموال والذخيرة، فاتجهوا إلى برقة واستولوا عليها، وعندما علم المعز بن باديس بذلك خرج بنفسه في مقدمة جيشه، والتقى بهم قرب حيدران[٢]، فانهزم المعز عائداً إلى القيروان، وتحصن بها فحاصروه فيها، عندئذ أشار المعز على الرعية بالانتقال إلى مدينة المهدية، لعجزه عن حمايتهم من العرب، فأخذ الناس ينتقلون إلى المهدية، ثم دخلها المعز في شعبان سنة ٤٤٩هـ/ أكتوبر ١٠٥٧م، عندئذ قام العرب بنهب القيروان وتخريبها (المقريزي ١٩٧١: ٢/٢١٥-٢١٧؛ ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٩٤؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨ ٥٩٥/-٥٩٧؛ ابن خلدون ١٩٩٢: ٦/١٨٨؛ الجمل ١٩٩٧: ١٨).

ولم يمكث المعز بن باديس في مدينة المهدية طويلاً، حيث توفي في شهر شعبان سنة ٤٥٤هـ/ سبتمبر ١٠٦٣م[٣] من

مرض أصابه وهو ضعف الكبد، وتولى بعده ابنه، ولم تطل مدة أحد من أهل بيته في الولاية كمدته، فكانت مدة حكمه سبعاً وأربعين سنة، وكان عمره ستاً وخمسين سنة، ودفن بمقبرة بني زيري في رباط المنستير، وكان حاكماً جليلاً عالي الهمة، رقيق القلب خاشعاً، متجنباً لسفك الدماء إلا في الحدود، حليماً يتجاوز عن كبائر الجرائم، حسن الصحبة مع أصحابه ومن هم تحت يده، مكرماً لأهل العلم كثير العطاء لهم (ابن خلكان ١٩٦٨: ٥/٢٤٣؛ ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٩٨؛ النويري ١٩٨٣: ٢٤/٢١٨؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/٣٥٤).

نقود المعز بن باديس:

يمكن تقسيم النقود الذهبية للمعز بن باديس إلى ثلاثة مراحل هي:

المرحلة الأولى: النقود الذهبية قبل الاستقلال (٤٠٦-٤٣٩هـ/ ١٠١٦-١٠٤٧م):

وتشمل كل النقود التي ضربت في إفريقية وغيرها من المدن الزيرية في عهد المعز بن باديس، وهي نقود التبعية السياسية والمذهبية للدولة الفاطمية، وقد علل المعز في حديث دار بينه وبين بعض العلماء في القيروان أن السبب المباشر الذي جعله يبقي على ضرب السكة بأسماء خلفاء بني عبيد (أي الخلفاء الفاطميين) قائلاً: "ما أبقيت السكة والبنود إلا مداراة لأجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين". ويتضح من هذا القول أن السبب في عدم ذكر اسمه على هذه النقود هو خوفه أن يلحق بالحجاج المغاربة المسافرين القاصدين الأراضي المقدسة الضرر من قبل الشرطة الفاطمية، التي تراقب كل من يمر بتراب مصر، فإذا ما اضطر أحد الحجيج إلى تصريف دينار صنهاجي بالديار المصرية كان نصيبه الحرمان والعقوبة (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣١؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٨١-٤٨٢).

وقد جاءت نقود هذه المرحلة في طراز واحد، يشتمل مركز الوجه على ثلاثة أسطر متوازية، نقش في السطر الأول والثاني شهادة التوحيد والرسالة المحمدية ونصها:

"لا إله إلا الله/ محمد رسول الله"، بينما سجل في السطر الثالث عبارة "علي ولي الله"، ونقش بهامش الوجه الآية الكريمة ونصها: "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" (التوبة: ٣٣ أو الصف: ٩). أما مركز الظهر فيضم ثلاثة أسطر متوازية، نقش في السطر الأول لقب "الإمام"، وسجل في السطر الثاني اسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، بينما دوِّن في السطر الثالث لقب "أمير المؤمنين"، ونقش بهامش الظهر البسملة غير كاملة ثم اسم مكان الضرب وتاريخه.

ومن أمثلة نقود هذا الطراز دينار ضرب صبرة سنة ٤٣٩هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٢٨٢؛ الحسيني ١٩٧٦: ٤٠/٧-٤١؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٣، ٤٩٠؛ العجابي ١٩٨٨: ٣٤٧؛ Hazard 1952: 90)، وسنة ٤٤٠هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٢٨٤-٢٨٦؛ قازان ١٩٨٣: ٦٠٤؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٩٠؛ العجابي ١٩٨٨: ٣٤٨؛ Hazard 1952: 90).

المرحلة الثانية: نقود الاستقلال (٤٣٩-٤٤٩هـ / ١٠٤٧-١٠٥٨م):

وهي نقود الاستقلال عن الخلافة الفاطمية؛ وتمثل اتجاه بني زيري الديني ومفهوم الملك عندهم؛ إذ تحمل التنديد بالفاطميين وترميهم صراحة بالكفر والمروق عن الإسلام وهي تجسد روح الاستقلال السياسي والمذهبي لدولة بني زيرى (بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٥)، وقد جاءت نقود هذه المرحلة في ثلاثة طرز هي:

الطراز الأول:

يحمل مركز الوجه شهادة التوحيد والرسالة المحمدية في ثلاثة أسطر متوازية ونصها: "لا إله إلا الله / وحده لا شريك له / محمد رسول الله"، ويشتمل هامش الوجه على الآية الكريمة "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"، أما مركز الظهر فنقش به الآية الكريمة "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه"، (آل عمران: ٨٥)، وسجل بهامش الظهر البسملة غير كاملة، ثم اسم مكان الضرب وتاريخه.

ومن أمثلة نقود هذا الطراز دينار ضرب مدينة عز الإسلام والقيروان سنة ٤٤١هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣٠٣؛ الحسيني ١٩٧٦: ٧/٤١؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٧-٤٨٨)، وسنة

٤٤٢هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣٠٤، الحسيني ١٩٧٦: ٧/٤٢؛ Hazard 1952: 90)، وسنة ٤٤٦هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣٠٩)، ودنانير أخرى ضرب صبرة سنة ٤٤٤هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣١١)، وسنة ٤٤٥هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣١٢؛ Mitchiner 1977: 372)، وسنة ٤٤٦هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣١٣).

الطراز الثاني:

هو مثل الطراز السابق، ولكن يختلف عنه فقط في أن هامش الوجه يحمل الآية الكريمة "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله"، (الأحزاب: ٤٥-٤٦)، بدلاً من الآية الكريمة "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" بالطراز السابق.

ومن أمثلة نقود هذا الطراز دينار ضرب مدينة عز الإسلام والقيروان سنة ٤٤١هـ (الحسيني ١٩٧٦: ٧/٤٢؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٩-٤٩٠؛ العجابي ١٩٨٨: ٣٤٩؛ Lavoix 1891: 934, Nützel 1902: 210; Candia 1937: 168; Hazard 1952: 90; Spink 27/ 1988: 99)، وسنة ٤٤٢هـ (العجابي ١٩٨٨: ٣٥٠؛ Hazard 1952: 90)، وسنة ٤٤٣هـ (قازان ١٩٨٣: ٦٣٠؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٩٢-٤٩٣؛ Hazard 1952: 90)وسنة ٤٤٤هـ (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣٠٥؛ قازان ١٩٨٣: ٦٣١؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٩٤-٤٩٥؛ العجابي ١٩٨٨: ٣٥٢؛ الخريجي ٢٠٠٢: ١٥٨؛ Hazard 1952: 91)، وسنة ٤٤٦هـ (العجابي ١٩٨٨: ٣٥٤؛ Hazard: 1952: 91)، وسنة ٤٤٨هـ (قازان ١٩٨٣: ٦٣٢).

الطراز الثالث:

هو مثل الطراز السابق، ولكن يختلف عنه فقط في أن هامش الوجه نقش به الآية الكريمة: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" (الأنبياء: ١٠٥)، بدلاً من الآية الكريمة "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله" بالطراز السابق.

ومن أمثلة نقود هذا الطراز دينار ضرب عز الإسلام والقيروان سنة ٤٤١هـ (الحسيني ١٩٧٦: ٧/٤١)، وسنة ٤٤٢هـ (الحسيني ١٩٧٦: ٧/٤١؛ بن قربة ١٩٨٦: ٤٩١-٤٩٢؛ Broome 1985: 226؛ Candia 1937: 169; Hazard: 1952: 90).

وفي الواقع، أنه يوجد دينار منشور ضرب المهدية سنة ٤٤٢هـ، يحمل عبارات سنية مناهضة للخلافة الفاطمية، وقد جاءت نصوص كتاباته على النحو التالي (عبد الوهاب ١٩٦٥: ٣١٠):

الوجه

مركز:

لا إله إلا الله

وحده لا شريك له

محمد رسول الله

هامش:

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً

ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله

الظهر

مركز:

ومن يبتغ غير

الإسلام ديناً

فلن يقبل منه

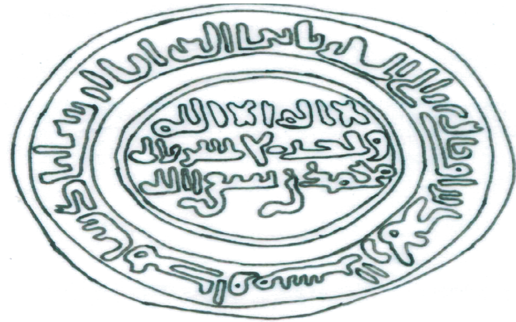
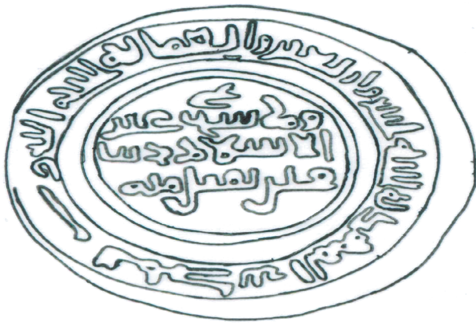
هامش:

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب بحمد الله بالمهدية سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

وفي هذا البحث، سوف نعرض بالدراسة والتحليل لدينار نادر للمعز ابن باديس، لم يسبق نشره، ويُنشر في هذا البحث لأول مرة، ويمثل النموذج الأول من سنة ٤٤٩هـ – على حسب علم الباحث – يحمل عبارات سنية مناهضة للخلافة الفاطمية،




اللوحة ١: دينار نادر من دولة بني زيري بتونس يعود إلى فترة حكم المعز بن باديس، ضرب مدينة المهدية سنة ٤٤٩هـ على الطراز السني، لم يسبق نشر مثيل له، عرض بمزاد فرانكفورت بألمانيا (وزنه ٤,٢٠ جرام)

الشكل ١: رسم توضيحي لكتابات الدينار في اللوحة ١ .

وقد عرض هذا الدينار في مزاد فرانكفورت بألمانيا، يبلغ وزنه ٤,٢٠جرام.

والشكل العام لهذا الدينار يتمثل في دائرة خطية تحيط بكتابات هامش كل من الوجه والظهر، وتحيط بكتابات كل من الوجه والظهر دائرتان خطيتان متحدتا المركز، وقد استخدم في تنفيذ كتابات هذا الدينار الخط الكوفي البسيط، ذي الحروف البارزة.

وقد جاءت نصوص كتابات هذا الدينار[٤] على النحو الآتي:

الوجه

مركز:

لا إله إلا الله

وحده لا شريك له

محمد رسول الله

هامش:

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً

ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله

الظهر

مركز:

ومن يبتغ غير

الإسلام ديناً

فلن يقبل منه

هامش:

بسم الله ضرب بمدينة المهدية سنة

تسع وأربعين وأربعمائة.

جاءت كتابات مركز وجه هذا الدينار في ثلاثة أسطر متوازية؛ سجلت شهادة التوحيد على السطرين الأول والثاني ونصها "لا إله إلا الله / وحده لا شريك له"، وقد أضيفت عبارة "وحده لا شريك له" في السطر الثاني من مركز الوجه مقابل حذف العبارة الشيعية "علي ولي الله" من السطر الثالث من كتابات مركز الوجه في النقود الفاطمية (بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٧)، وتشير كتابات مركز الوجه إلى عودة المعز بن باديس إلى المذهب السني.

ويشتمل هامش الوجه على الآية الكريمة: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله" (الأحزاب: ٤٥-٤٦)، وتعني هذه الآية أن الله أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم شاهداً على من أُرسل إليهم مبشراً من صدّقة بالجنة ومنذراً من كذّبه بالنار، وداعياً إلى طاعة الله، وينطبق ذلك على الفاطميين الذين سبّوا الصحابة رضوان الله عليهم، وبذلك كذّبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي مات وهو راضٍ عن صحابته، فخالف الفاطميون ذلك، ولكن المعز بن باديس صدّق ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، فنهى عن سب الصحابة، فلّه البشرى بالجنة، وللفاطميين البشرى بالنار، جزاءً وفاقاً لما بدر منهم من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (يوسف ١٩٩٧: ١٥٣).

وقد ظهرت هذه الآية لأول مرة على النقود الإسلامية، بشكل عام، وعلى نقود المغرب بشكل خاص، عندما سجلها المعز بن باديس على دنانيره المضروبة في مدينة عز الإسلام، والقيروان سنة ٤٤١هـ (العجابي ١٩٨٨: ٢٦٧-٢٧٢؛ يوسف ١٩٩٧: ١٥٣؛ .(Hazard1952: 90وهي بذلك تمثل اتجاهاً دينياً سنياً صريحاً، وتُعد في الوقت نفسه شعاراً مفضلاً لدى الأمير المعز بن باديس (بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٦).

وقد انفردت سكة المعز بن باديس بهذه الآية، فلم تظهر على نقود إسلامية أخرى (يوسف ١٩٩٧: ١٥٣).

وجاءت كتابات مركز ظهر هذا الدينار في ثلاثة أسطر متوازية، تشتمل على الآية الكريمة: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه" (آل عمران: ٨٥).

وقد نزلت هذه الآية في نفر من الأنصار، ارتدّوا عن الإسلام، وذهبوا إلى مكة كفاراً (يوسف ١٩٩٧: ١٢٨).

وقد ظهرت هذه الآية الكريمة، لأول مرة، على النقود الإسلامية، عندما سجلها المعز بن باديس على دنانيره المضروبة في مدينتي عز الإسلام والقيروان سنة ٤٤١هـ (يوسف ١٩٩٧: ١٢٧).

وقد قصد المعز بن باديس من تسجيل هذه الآية على نقوده رمي الفاطميين الشيعة بالكفر والمروق من الإسلام، وتجلى ذلك في سبهم وتكفيرهم الصحابة، رضوان الله عليهم، وما أحدثوه من تغييرات في الأذان والصلاة الجامعة، وإلى جانب ذلك ما فعله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، عندما أمر بأن يكتب على المساجد عبارات سبّ الصحابة، هذا فضلاً عن قيام الحاكم بتحريض أحد العلويين المقيمين في المدينة المنورة بنبش قبر الخليفة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وما إن شرع في ذلك حتى هبت عليه عاصفة عاتية أدخلت الرعب في قلبه، فكف عن فعلته الشنعاء، فكل هذه الأعمال دفعت المعز بن باديس إلى محاولة إثبات أن الفاطميين الشيعة قد مرقوا من الإسلام، وبنقشه هذه الآية على نقوده، فإن المعز يعظهم بأن من ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه (يوسف ١٩٩٧: ١٢٨). كما تُعد هذه الآية سمة بارزة وتحدياً سافراً للفاطميين (بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٥)، كما أن الآية نفسها لم تسجل على أي نقود قبل نقود المعز بن باديس، ولكنها سجلت بعد ذلك على نقود دولة المرابطين شعاراً لها (النبراوي ١٩٩٩: ٢٤٥).

أما هامش الظهر فيشتمل على البسملة غير كاملة، ثم اسم مكان السك وتاريخه، وهو مدينة المهدية[٥] سنة ٤٤٩هـ؛ والمهدية بفتح الميم وسكون الهاء وكسر الدال المهملة، مدينة صغيرة مستحدثة، تقع شمال القيروان وشرقي سوسة، وغربي

سفاقس، شيدها الخليفة الفاطمي المهدي بالله (٢٩٧-٣٢٢هـ/ ٩١٠-٩٣٤م)؛ لتكون حصناً له وللفاطميين، ومركزاً لعملياته الحربية البرية والبحرية، إذا تغيرت نفوس البربر، ولتحميه من غدرهم، واختار موقعها على ساحل بحر الروم، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات، أي أنها عبارة عن شبه جزيرة متصلة بالبر على هيئة كف متصل بزند، وبين المهدية والقيروان ستين ميلاً. (الحموي ١٩٨٤: ٢٢٩/٥-٢٣٢؛ الحميري ١٩٨٤: ٥٦١).

وقد انتقل المعز بن باديس إلى مدينة المهدية في سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م، ونقل إليها دار سكته، وذلك بعد انقطاع ضرب نقوده بمدينتي صبرة والقيروان(٦) بعد سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م، وكان ذلك بسبب تخريب عرب بني هلال هاتين المدينتين (ابن عذارى ١٩٨٣: ١/٢٩٤؛ النويري ١٩٨٣: ٢٤/٢١٧؛ رمضان ٢٠٠٢: ١٥٦).

ومن ثم، فإن هذا الدينار، ضُرب بعد انتقال المعز بن باديس إلى المهدية في هذه السنة (أي سنة ٤٤٩هـ)، وقد عاد الأمير المعز بن باديس إلى الدخول في طاعة الخلافة الفاطمية بمصر، وذلك بضرب النقود الذهبية في مدينة المهدية على الطراز الشيعي في السنة نفسها (أي سنة ٤٤٩هـ)، تحمل شعارهم "علي ولي الله" بمركز الوجه، واسم ولقب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بمركز الظهر (بن قربة ١٩٨٦: ٤٩٦-٤٩٧)، وقد استمر ضرب النقود الذهبية على الطراز الشيعي حتى وفاة المعز بن باديس في سنة ٤٥٤هـ١٠٦٦/م.

نتائج البحث:

وفي ضوء ما سبق يتضح، أن هذا الدينار، الذي يحمل اسم مدينة المهدية وتاريخ سنة ٤٤٩هـ، والذي ضربه المعز بن باديس، واحتوى على كتابات سنية مناهضة للخلافة الفاطمية، هو الدينار الوحيد المعروف، حتى الآن، على مستوى العالم - حسب علم الباحث - وترجع أهمية هذا الدينار في أنه ضرب في السنة الأخيرة من سنوات خروج المعز على الخلافة الفاطمية، وأن هذا الدينار قد ضرب بعد انتقال المعز إلى مدينة المهدية في سنة ٤٤٩هـ، وهي السنة التي شهدت أيضاً ضرب نقود تؤكد عودته مرة أخرى إلى طاعة الخلافة الفاطمية.

د/ أحمد توني رستم توني - قسم الآثار الإسلامية - كلية الآثار - جامعة الفيوم - مصر.
E-mail: tony_ahmd@yahoo . com

الهوامش:

(١) ذكر بن قربة أن المعز بن باديس لم يكن ابتداء ضربه لدنانيره سنة ٤٤١هـ، ولكن حسب مجموعة حسن حسني عبد الوهاب فإن بداية ضربها لأول مرة كان سنة ٤٣٩هـ (بن قربة ١٩٨٦: ٤٤٩).

(٢) حيدران مكان بالجنوب الشرقي من المملكة على الجادة الكبرى بين قابس والقيروان بالمكان المعروف اليوم بودران (عبد الوهاب ١٩٢٥: ٩٦).

(٣) هناك من المؤرخين من ذكر أن وفاة المعز بن باديس كانت سنة ٤٥٣هـ (ابن أبي دينار ١٨٦٩: ٨٤؛ النويري ١٩٨٣: ٢٤/٢١٨؛ ابن الأثير ١٩٨٧: ٨/٣٥٤؛ عبد الوهاب ١٩٢٥: ٩٧).

(٤) هناك دينار ضرب المهدية سنة ٤٤٩ هـ لكنه ضرب على الطراز الشيعي، إذ يحمل عبارة "علي ولي الله" في السطر الأخير من كتابات مركز الوجه، ويحمل اسم وألقاب الخليفة الفاطمي "المستنصر بالله" بكتابات مركز الظهر، وقد جاءت نصوص كتاباته على النحو التالي (العجابي ١٩٨٨: ٢٧٤):

الوجه	الظهر
مركز:	**مركز:**
لا إله إلا الله	الإمام
محمد رسول الله	المستنصر بالله
علي ولي الله	أمير المؤمنين
هامش:	**هامش:**
كتابات غير واضحة	بسم الله ضرب هذا الدينار بالمهدية
	سنة تسع وأربعين وأربعمائة

(٥) يلاحظ على هذا الدينار عدم ذكر لفظ "الدينر" وهي ظاهرة لم يسبق لها مثيل على نقود المغرب الإسلامي، وقد حلت كلمة "مدينة" مكان عبارة "هذا الدينر"، وتعتبر هذه الطريقة في كتابة التاريخ إحدى مميزات دنانير المعز بن باديس (بن قربة ١٩٨٦: ٤٨٦).

(٦) كانت مدينة صبرة والقيروان مركزاً أساسياً جديداً مناهضاً للشيعة الفاطميين، وبقيت على قدم المساواة مع عاصمتهم القاهرة، وأصبحت صبرة تمثل عاصمة أهل السنة بإفريقية، وصار يتعلق بها قلوب أهل المغرب الذين كرهوا حكم الشيعة، وتاقت نفوسهم إلى تلك الدولة السنية التي تخلصهم من ظلم الشيعة، واضطهادهم المذهبي لأهل إفريقية (رمضان ٢٠٠٢: ١٥٦).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

القرآن الكريم.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ١٩٨٧ ، الكامل في التاريخ، المجلد الثامن، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، بيروت.

إدريس، الهادي روجي ١٩٩٢ . الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى القرن ١٢م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت.

الأندلس، أبو عبد الله محمد بن محمد ١٨٧٠. الحُلل السندسية في الأخبار التونسية، تونس.

الباجي، أبو عبد الله محمد المسعودي ١٨٦٦. الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تونس.

الجمل، شوقي عطا الله ١٩٩٧ . المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب الأقصى (مراكش)، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، الطبعة الثانية، القاهرة.

الحسيني، محمد باقر ١٩٧٦ . دراسة عن نقود الثوار والشعارات والمناسبات المضروبة في إفريقية، مجلة المسكوكات، العدد ٧، بغداد.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ١٩٨٤. معجم البلدان، الجزء الخامس، بيروت.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ١٩٨٤ . الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت.

الخريجي، عبد المجيد بن محمد - الشرعان، نايف عبد الله ٢٠٠٢. الدينار عبر العصور الإسلامية - نماذج مختارة من مجموعة عبد المجيد بن محمد الخريجي، جدة.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ١٩٦٤ . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، الجزء الثالث، تحقيق: أحمد مختار العبادي - محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ١٩٩٢ . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الطبعة الأولى، بيروت.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن إبراهيم ١٩٦٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، المجلد الخامس، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ابن أبي دينار، أبو عبد الله بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ١٨٦٩ . المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. تونس.

رمضان، عاطف منصور محمد ٢٠٠٢. الكتابات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

سيد، أيمن فؤاد ٢٠٠٠ . الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، القاهرة.

عبد الوهاب، حسن حسني ١٩٢٥ . خلاصة تاريخ تونس، تونس.

عبد الوهاب، حسن حسني ١٩٦٥ . النقود العربية في تونس، تونس.

العجابي، حامد ١٩٨٨ . جامع المسكوكات العربية بإفريقية، تونس.

ابن عذارى، أبو العباس أحمد المراكشي ١٩٨٣ . البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق: ج. س كولان- ليفي بروفنسال، بيروت.

قازان، وليم ١٩٨٣. المسكوكات الإسلامية، مجموعة خاصة، بيروت.

بن قربة، صالح ١٩٨٦ . المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ١٩٧١ . اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، الجزء الثاني، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

مؤنس، حسين ١٩٩٧ . معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، الطبعة الثانية، القاهرة.

ابن ميسر، تاج الدين محمد علي بن يوسف ١٩٨١ . المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة.

النبراوي، رأفت محمد محمد ١٩٩٩ . النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ١٩٨٣ . نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الرابع والعشرون، تحقيق: حسين نصار - عبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

يوسف، فرج الله أحمد ١٩٩٧ . دراسة مقارنة للآيات القرآنية على السكة الإسلامية في ضوء بعض المجموعات الخاصة، مخطوط رسالة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآثار، جامعة القاهرة.

ثانياً: المراجع غير العربية:

Mitchiner, Michael 1977. The world of Islam Oriental Coins and their values, London.

Nützel, Henrich 1902. Katalog der Orientalischen Münzen, Vol. 11: Die Münzen der Muslimischen Dynastieen spaniens und des westlichen, Nordafrika, Berlin.

Spink, 1988. Coins of the Islamic World in Gold, Silver and Copper, Auction 27, Wednesday 7th June 1988.

Broome, Michael 1985. A hand Book of Islamic Coins, London.

Candia, Farrugia 1937. Monnaies Fatimites du Musée du Bardo, Revue Tunisienne.

Hazard, Harry, W. 1952. The Numismatic History of Late Medieval Nord Africa (ANS), New York.

Lavoix, Henri 1891. Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Biblio théque Nationale, Vol. 11, Espagne et Afrique, Paris.